

رد القوي المتين

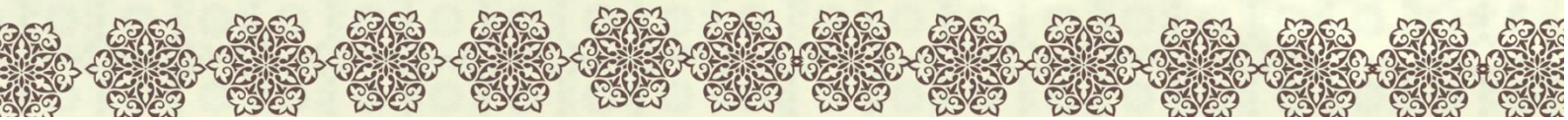
على من سب أو عاب النبي الأمين ﷺ



السيد مراد سلامة

الألوكة

www.alukah.net



رد القوي المتين على من سب أو عاب النبي الأمين

إعداد

الشيخ السيد مراد سلامة

إمام وخطيب ومدرس

المقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا مِنْ يَهْدِيهِ اللَّهُ فَلَا مَضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدَ عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ ﴿عمران/١٠٢﴾

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء/١]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا (٦٩) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠)﴾ [الأحزاب/٦٩-٧١]

أما بعد

فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثاتها بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

وبعد: في هذه الفترة الأخيرة من الزمان في فترة الضعف والهوان تكالبت الأعداء على الأمة الإسلامية وأضحت الأمة في غفلة وسبات عميق لا تدفع عن نفسها ولا عن دينها ولا نبيها - صلى الله عليه وسلم - فمن رسوم الدنمارك إلى إساءة القس الأمريكي إلى الفلم المسيء لرمز الطهر والعفاف - صلى الله عليه - الأمة ما زالت راضية بالمذلة والهوان لأنها تفرقت أيدي سبا وأصابها الوهن الذي أخبر به - صلى الله عليه وسلم -

و لله در القائل

أبناءً أمتنا الكرام إلى متى *** يقضي على عزم الأبى سبأت؟

أبناءً أمتنا الكرام إلى متى *** تمتد فيكم هذه السكرات؟!

الأمرُ أمرُ الكفر أعلن حربَه *** فمتى تهز الغافلين عطات؟!

كفرٌ وإسلامٌ وليلٌ حضارةٌ *** غربيَّة، تشقى بها الظلماتُ

أين الجيوشُ اليعزبيَّة هل قضتُ *** نحباً فلا جندٌ ولا أدوات؟!

الأمر أكبرُ يا رجالٌ وإنما *** ذهبَ بوعي الأمة الصدماتُ

أخي المسلم أختي المسلمة: إن الله تعالى قد تكفل بحماية نبيه - صلى الله عليه وسلم - والرد على من تسول له نفسه أن ينال من شخصيته الكريمة فقال سبحانه وتعالى. { يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٦٧) } المائدة

يقول السعدي - رحمه الله- { وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ } هذه حماية وعصمة من الله لرسوله من الناس، وأنه ينبغي أن يكون حرصك على التعليم والتبليغ، ولا يثنيك عنه خوف من المخلوقين فإن نواصيهم بيد الله وقد تكفل بعصمتك، فأنت إنما عليك البلاغ المبين، فمن اهتدى فلنفسه، وأما الكافرون الذين لا قصد لهم إلا اتباع أهوائهم فإن الله لا يهديهم ولا يوفقهم للخير، بسبب كفرهم. (١)

و يقول الشيخ الشعراوي - رحمه الله-

فكأن الحق يقول لرسوله: اطمئن يا محمد؛ لأن من أرسلك هداية للناس لن يخلي بينك وبين الناس. ولن يجرؤ أحد أن ينهي حياتك. ولكني سأمكنك من الحياة إلى أن تكمل رسالتك. وإياك أن يدخل في روعك أن الناس يقدرون عليك، صحيح أنك قد تتألم، وقد تعاني من أعراض التعب في أثناء الدعوة، ولكن هناك حماية إلهية لك. ونحن نعلم قدر المتاعب التي تعرض لها الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ألم تكسر رباعيته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في غزوة أحد؟ ألم يشج وجهه؟ ألم تدم أصبعه فيقول:

«إن أنت إلا أصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت» (٢).

و في هذه الرسالة نضع بين يدي القارئ رد القوي المتين على من سب أو عاب النبي الأمين وكيف دافع عنه الله جل في علاه

مَا ضَرَّ تَأْجُ الْكَوْنِ فِي عِلْيَانِهِ * مَا ضَرَّهُ أَنْ يَنْبَحَ الشَّيْطَانُ
وَتَطَاوَلَ (الدمرك) فِي أَحْقَادِهِمْ * سَنُذِيقُهُمْ حَرَّ اللَّطِّيِّ النَّيِّرَانُ
سَيُصِيبُهُمْ مَنَا لَهَيْبٍ حَارِقٍ * فَيَذُكُّهُمْ وَتَلْفُهُمْ أَحْزَانُ

فاللهم اجعل هذا العمل خالصا لوجهك الكريم وجعله نصرة لنبيك الأمين، واجعله زادا لي وللمؤمنين في الدنيا وفي الآخرة وأعوذ بك أن أقول زورا أو أغشى فجورا أو ان اكون بك مغرورا يا رب العالمين.

أبو همام / السيد مراد سلامة

١ - تفسير السعدي (ص: ٢٣٩).

٢ - تفسير الشعراوي (٦ / ٣٢٨٩).

الرد على المنافقين في سورة التوبة

لقد أخذ المنافقون يلمزون النبي - صلى الله عليه وسلم - ويقولون عنه أنه يصدق كل ما قيل له وما يسمعه وأنه أذن فتولى الله تعالى الرد على هؤلاء السفهاء وبين لهم منزلته للمؤمنين ولهم أيضا فقال سبحانه { وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أذُنٌ قُلُّ أذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } [التوبة/٦١]

يقول الطبري - رحمه الله -، عن ابن إسحاق قال، ذكر الله غشهم يعني: المنافقين وأذاهم للنبي- صلى الله عليه وسلم -فقال: (ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن)، الآية. وكان الذي يقول تلك المقالة، فيما بلغني، نبتل بن الحارث، أخو بني عمرو بن عوف، وفيه نزلت هذه الآية، وذلك أنه قال: "إنما محمد أذنٌ! من حدّته شيئا صدّقه!"، يقول الله: (قل أذن خير لكم)، أي: يسمع الخير ويصدق به. (٣)

يقول السعدي - رحمه الله - أي: ومن هؤلاء المنافقين { الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ } بالأقوال الرديّة، والعيب له ولدينه، { وَيَقُولُونَ هُوَ أذُنٌ } أي: لا يبالون بما يقولون من الأذية للنبي، ويقولون: إذا بلغه عنا بعض ذلك، جننا نعتذر إليه، فيقبل منا، لأنه أذن، أي: يقبل كل ما يقال له، لا يميز بين صادق وكاذب، وقصدهم -قبحهم الله- فيما بينهم، أنهم غير مكترئين بذلك، ولا مهتمين به، لأنه إذا لم يبلغه فهذا مطلوبهم، وإن بلغه اكتفوا بمجرد الاعتذار الباطل. فأساءوا كل الإساءة من أوجه كثيرة، أعظمها أذية نبيهم الذي جاء لهدايتهم، وإخراجهم من الشقاء والهلاك إلى الهدى والسعادة.

ومنها: عدم اهتمامهم أيضا بذلك، وهو قدر زائد على مجرد الأذية. ومنها: قدحهم في عقل النبي صلى الله عليه وسلم، وعدم إدراكه وتفريقه بين الصادق والكاذب، وهو أكمل الخلق عقلا وأتمهم إدراكا، وأتقهم رأيا وبصيرة، ولهذا قال تعالى: { قُلْ أذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ } أي: يقبل من قال له خيرا وصدقا. وأما إعراضه وعدم تعنيفه لكثير من المنافقين المعتذرين بالأعذار الكذب، فلسعة خلقه، وعدم اهتمامه بشأنهم، وامتناله لأمر الله في قوله: { سَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجِسٌ }. وأما حقيقة ما في قلبه ورأيه، فقال عنه: { يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ } الصادقين المصدقين، ويعلم الصادق من الكاذب، وإن كان كثيرا ما يعرض عن

٣ - رواه الطبري الأثر: ١٦٨٩٩ - سيرة ابن هشام ٤ : ١٩٥، انظر تفسير الطبري - (ج ١٤) / ص (٣٢٥)

الذين يعرف كذبهم وعدم صدقهم، { وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ } فإنهم به يهتدون، وبأخلاقه يقتدون.
وأما غير المؤمنين فإنهم لم يقبلوا هذه الرحمة بل ردوها، فخرسوا دنياهم وأخرتهم، { وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ } بالقول أو الفعل { لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } في الدنيا والآخرة، ومن العذاب الأليم أنه يتحتم قتل مؤذيه وشاتميه...^(٤)

^٤ تفسير السعدي - (ج ١ / ص ٣٤١)

الرد على شبة كل كفار أثيم

و في سورة الطور رد الله تعالى على تلك الشبة التي يخترعها كل مكذب أفاك لا يعرف معروفًا ولا ينكر مكرًا إلا ما أشرب من هواه فعبدت الأوثان من أهل الكفر والعصيان شنوا حربًا إعلامية شاملة مضمون تلك الحرب أن النبي - صلى الله عليه وسلم - ساحر أو مجنون أو كاهن لقد تخطبوا في آرائهم وضلوا في سعيهم فكان عاقبة أمرهم خسرا ونهاية قولهم كفرا، لقد تولى الله ولى النبي والمؤمنين الرد على هؤلاء المجرمين يقول تعالى { فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ (٢٩) أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ (٣٠) قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ (٣١) } الطور

يقول السعدي - رحمه الله - { فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ * أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ * قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ }.

يأمر تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يذكر الناس، مسلمهم وكافرهم، لتقوم حجة الله على الظالمين، ويهتدي بتذكيره الموفقون، وأنه لا يبالي بقول المشركين المكذابين وأذيتهم وأقوالهم التي يصدون بها الناس عن اتباعه، مع علمهم أنه أبعد الناس عنها، ولهذا نفى عنه كل نقص رموه به فقال: { فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ } أي: منه ولطفه، { بِكَاهِنٍ } أي: له رأي من الجن، يأتيه بأخبار بعض الغيوب، التي يضم إليها مائة كذبة، { وَلَا مَجْنُونٍ } فاقد للعقل، بل أنت أكمل الناس عقلا وأبعدهم عن الشياطين، وأعظمهم صدقا، وأجلهم وأكملهم.

وتارة { يَقُولُونَ } فيه: إنه { شَاعِرٌ } يقول الشعر، والذي جاء به شعر، والله يقول: { وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ } { نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ } أي: ننتظر به الموت فسيبطل أمره، [ونستريح منه]. { قُلْ } لهم جوابا لهذا الكلام السخيف: { تَرَبَّصُوا } أي: انتظروا بي الموت، { فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ } { أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ } أي: تقول محمد القرآن، وقاله من تلقاء نفسه؟ { بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ } فلو آمنوا، لم يقولوا ما قالوا.

{ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ } أنه تقوله، فإنكم العرب الفصحاء، والفحول البلغاء، وقد تحداكم أن تأتوا بمثله، فتصدق معارضتكم أو تقرروا بصدقه، وأنكم لو اجتمعتم، أنتم والإنس والجن، لم تقدرُوا على معارضته والإتيان بمثله، فحينئذ أنتم بين أمرين: إما مؤمنون به، مهتدون بهديه، وإما معاندون متبعون لما علمتم من الباطل. (°)

° - تفسير السعدي - (ج ١ / ص ٨١٥)

دفع الغواية عن نبي الرحمة ﷺ: الهداية

وفي سورة النجم يرد رب العالمين على من رمى النبي - ﷺ -: بالضلال والغواية وانه لا ينطق عن هوى في نفسه وإنما هو الوحي الذي نزل به الروح الأمين على قلب رسوله الأمين فقال - سبحانه وتعالى { وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ (٢) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ (٥) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ (٦) وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ (٧) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ (٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ (٩) فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ (١٠) مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ (١١) أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ (١٢) وَلَقَدْ رَأَهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ (١٣) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ (١٤) عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ (١٥) إِذْ يَغْشَىٰ السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ (١٦) مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ (١٧) لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ (١٨) } [النجم]

يقول الشنقيطي - رحمه الله - وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: { مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ }، قال بعض العلماء: الضلال يقع من الجهل بالحق، والغيب هو العدول عن الحق مع معرفته، أي ما جهل الحق وما عدل عنه، بل هو عالم بالحق متبع له.

وما تضمنته هذه الآية الكريمة من كونه صلى الله عليه وسلم على هدى مستقيم، جاء موضحاً في آيات كثيرة، من كتاب الله كقوله تعالى: { فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ } [النمل: ٧٩] وقوله تعالى { فَلَا يُنَازِعُكَ فِي الْأَمْرِ وَاذْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُسْتَقِيمٍ } [الحج: ٦٧] وقوله تعالى: { وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } [الشورى: ٥٢].

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة { إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ } [النجم: ٤] استدلل به علماء الأصول على أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يجتهد، والذين قالوا إنه قد يقع منه الاجتهاد، استدلوا بقوله تعالى: { عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَبْتَ لَهُمْ } [النجم: ٤].

قوله: { إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ } معناه أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يبلغ عن الله إلا شيئاً أوحى الله إليه أن يبلغه، فمن يقول: إنه شعر أو سحر أو كهانة، أو أساطير الأولين هو أكذب خلق الله وأكفرهم، ولا ينافي ذلك أنه أذن للمتخلفين عن غزة تبوك، وأسر الأسارى يوم بدر، واستغفر لعمه أبي طالب من غير أن ينزل عليه وحي خاص في ذلك، وقد أوضحنا هذا في غير هذا الموضوع. (٦)

٦ - أضواء البيان - (ج ٨ / ص ٤٠)

دفع المذلة عن رسول رب العزة ﷺ:

{ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ (٧) يَقُولُونَ لَئِن رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ (٨) }. المنافقون.

يقول ابن عاشور - رحمه الله - هذا أيضاً من مقالاتهم في مجامعهم وجماعتهم يقولونها لإخوانهم الذين كانوا ينفقون على فقراء المسلمين تظاهراً بالإسلام كأنهم يقول بعضهم لبعض تظاهر الإسلام بغير الإنفاق مثل قولهم لمن يقول لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله، ولذلك عقت بها. وقد جاء في الأحاديث الصحيحة أن قائل هذه المقالة عبد الله بن أبي ابن سلول كما تقدم في طالعة تفسير هذه السورة فإسناد هذا القول إلى ضمير المنافقين لأنهم تقبلوه منه إذ هو رأس المنافقين أو فشا هذا القول بين المنافقين فأخذوا يثبتونه في المسلمين.

{ من عند رسول الله { من كانوا في رعايته مثل أهل الصفة ومن كانوا يلحقون بالمدينة من الأعراب العفاة أو فريق من الأعراب كان يموّنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بني المصطلق. روى البخاري عن زيد بن أرقم قال: «خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر أصاب الناس فيه شدة فقال عبد الله بن أبي: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله» وهذا كلام مكر لأن ظاهره قصد الرفق برسول الله صلى الله عليه وسلم من كلفة إنفاق الأعراب الذين ألوأ به في غزوة بني المصطلق، وباطنه إرادة إبعاد الأعراب عن تلقي الهدى النبوي وعن أن يتقوى بهم المسلمون أو تفرق فقراء المهاجرين لتضعف بتفرقهم بعض قوة المسلمين. وروايات حديث زيد مختلطة. وقوله: { رسول الله { يظهر أنه صدر من عبد الله بن أبي ومن معه من المنافقين بهذا اللفظ إذا كانوا قالوا ذلك جهراً في ملا المسلمين إذ هم يتظاهرون ساعتئذ بالإسلام.

و { حتى } مستعملة في التعليل بطريقة المجاز المرسل لأن معنى { حتى } انتهاء

يَنْفَضُوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا { . عطف على جملة { هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله { إبطال لمكر المنافقين فيما قصدوه من قولهم المتظاهرين بأنهم قصدوا به نصح المسلمين، أي لو تمشت حيلتهم على المسلمين فأمسكوا هم وبعض المسلمين عن إنفاق الأعراب ومن يأوون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من العفاة، فإن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يقطع عنهم الإنفاق وذلك دأبه كما دل عليه حديث عمر بن الخطاب «أن رجلاً جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله أن يعطيه فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما عندي شيء ولكن ابتع عليّ فإذا جاءني شيء قضيتّه. فقال عمر: يا رسول الله ما كلفك الله ما لا تقدر عليه،

فكره النبي صلى الله عليه وسلم قول عمر. فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله أنفق ولا تخش من ذي العرشش إقلالاً. فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعُرف في وجهه البشر لقول الأنصاري ثم قال: بهذا أمرت». رواه الترمذي في كتاب «الشمائل».

وهذا جواب من باب طريقة النقض لكلامهم في مصطلح آداب البحث. و { خزائن } جمع خزانة بكسر الخاء. وهي البيت الذي تُخزن فيه الطعام قال تعالى: { قال اجعلني على خزائن الأرض } تقدم في سورة يوسف (٥٥). وتطلق على الصندوق الكبير الذي يخزن فيه المال على سبيل التوسع وعلى بيوت الكتب وصناديقها، ومن هذا ما جاء في حديث الصرف من الموطأ { «حتى يحضر خازني من الغابة».

و { خزائن السماوات } مقارر أسباب حصول الأرزاق من غيوث رسمية وأشعة الشمس والرياح الصالحة فيأتي ذلك بتوفير الثمار والحبوب وخصب المرعى وتزايد النتاج. وأما خزائن الأرض فما فيها من أهريّة ومطاميرٍ وأندر، ومن كنوز الأحوال وما يفتح الله لرسوله صلى الله عليه وسلم من البلاد وما يفيد عليه من أهل القرى.

واللام في { لله } الملك أي التصرف في ذلك ملك لله تعالى. ولما كان الإنفاق على فقراء المسلمين مما يعين على ظهور الدين الذي أرسل الله به رسوله صلى الله عليه وسلم كان الإخبار بأن الخزائن لله كنايةً عن تيسير الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم حصول ما ينفق منه كما دل عليه قوله صلى الله عليه وسلم لما قال له الأنصاري «ولا تخش من ذي العرش إقلالاً» «بهذا أمرت». وذلك بما سيره الله لرسوله صلى الله عليه وسلم من زكوات المسلمين وغنائم الغزوات، وما فتح الله عليه من البلاد بخيراتها، وما أفاء الله عليه بغير قتال.

وتقديم المجرور من قوله: { ولله خزائن السماوات والأرض } لإفادة قصر القلب وهو قلب للازم قولهم لا لصريحه لأن المنافقين لما قالوا: { لا تنفقوا على من عند رسول الله } حسبوا أنهم إذا قطعوا الإنفاق على من عند رسول الله لا يجد الرسول صلى الله عليه وسلم ما ينفق منه عليهم فأعلم الله رسوله مباشرة وأعلمهم تبعاً بأن ما عند الله من الرزق أعظم وأوسع.

واستدراك قوله: { ولكن المنافقين لا يفقهون } لرفع ما يتوهم من أنهم حين قالوا: { لا تنفقوا على من عند رسول الله } كانوا قالوه عن بصيرة ويقين بأن انقطاع إنفاقهم على الذين يلونون برسول الله صلى الله عليه وسلم يقطع رزقهم فينفضون عنه بناء على أن القدرة على الإنفاق منحصرة فيهم لأنهم أهل الأحوال وقد غفلوا عن تعدد أسباب الغنى وأسباب الفقر. والمعنى: أنهم لا يدركون دقائق المدركات وخفاياها.

والمعنى: إن كان الأعزّ يخرج الأذلّ فإن المؤمنين هم الفريق الأعزّ. وعزتهم بكون الرسول صلى الله عليه وسلم فيهم وبتأييد الله رسوله صلى الله عليه وسلم وأوليائه لأن عزة الله هي العزة الحق المطلقة، وعزة غيره ناقصة، فلا جرم أن أولياء الله هم الذين لا يُقهرُونَ إذا أراد الله نصرهم ووعدهم به. فإن كان إخراج من المدينة فإنما يُخرج منها أنتم يا أهل النفاق.

وتقديم المسند على المسند إليه في { ولله العزة } لقصد القصر وهو قصر قلب، أي العزة لله ولرسوله وللمؤمنين لا لكم كما تحسبون.

وإعادة اللام في قوله: { ولرسوله } مع أن حرف العطف مُغن عنها لتأكيد عزة الرسول صلى الله عليه وسلم وأنها بسبب عزة الله ووعد إياه، وإعادة اللام أيضاً في قوله: { وللمؤمنين } للتأكيد أيضاً إذ قد تخفى عزتهم وأكثرهم في حال قلة وحاجة.

والقول في الاستدراك بقوله: { ولكن المنافقين لا يعلمون } نظير القول آنفاً في قوله: { ولكن المنافقين لا يفقهون } [المنافقون: ٧].

وعدل عن الإضمار في قوله: { ولكن المنافقين لا يعلمون }. وقد سبق اسمهم في نظيرها قبلها لتكون الجملة مستقلة الدلالة بذاتها فتسير سير المثل.

وإنما نفي عنهم هنا العلم تجهيلاً بسوء التأمل في أمارات الظهور والانحطاط فلم يفتنوا للإقبال الذي في أحوال المسلمين وازدياد سلطانهم يوماً فيوماً وتناقص من أعدائهم فإن ذلك أمر مشاهد فكيف يظن المنافقون أن عزتهم أقوى من عزة قبائل العرب الذين يسقطون بأيدي المسلمين كلما غزوه من يوم بدر فما بعده.

عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال كنت مع عمي فسمعت عبد الله بن أبي ابن سلول يقول لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا وقال أيضاً لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل فذكرت ذلك لعمي فذكر عمي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عبد الله بن أبي وأصحابه فحلفوا ما قالوا فصدقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبني فأصابني هم لم يصبني مثله قط فجلست في بيتي فأنزل الله عز وجل

{ إذا جاءك المنافقون إلى قوله هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله إلى قوله ليخرجن الأعز منها الأذل } فأرسل إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأها علي ثم قال إن الله قد صدقك (٧)

وقد مشى عبد الله بن أبي ابن سلول إلى رسول الله حين بلغه أن زيد بن أرقم قد بلغه ما سمعه منه، فحلف بالله ما قلت ما قال ولا تكلمت به، فقال من حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأنصار من أصحابه: يا رسول الله عسى أن يكون الغلام قد أوهم في حديثه. فلما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم، لقيه أسيد بن حضير، فحياه بتحية النبوة وسلم عليه ثم قال: يا نبي الله لقد رحمت

٧ - أخرجه احمد ح ١٨٤٨٢ والبخاري ح ٤٥٢١ ومسلم ح ٤٥٢١

في ساعة منكراً، ما كنت تروح في مثلها، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أو بلغك ما قال صاحبكم؟». قال: وأي صاحب يا رسول الله؟ قال: «عبد الله بن أبي؟» قال: وما قال؟ قال: «زعم إن رجع إلى المدينة ليخرجن الأعرز منها الأذل». قال: فأنت يا رسول الله تخرجه منها إن شئت، هو الذليل وأنت العزيز. ثم قال: يا رسول الله، أرفق به، فوالله لقد جاءنا الله بك، وإن قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه، فإنه يرى أنك استلبت ملكه. ثم مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس يومهم ذلك حتى أمسى، وليلتهم حتى أصبح، وصدر يومهم ذلك حتى أذتهم الشمس، ثم نزل بالناس، فلم يلبثوا أن وجدوا مس الأرض فوقعوا نياماً.

وإنما فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشغل الناس عن الحديث الذي كان بالأمس، من حديث عبد الله بن أبي، ونزلت السورة التي ذكر فيها المنافقون في ابن أبي ومن كان على مثل أمره، فلما نزلت أخذ رسول الله بأذن زيد بن أرقم، ثم قال: هذا الذي أوفى الله بأذنه^(٨). إن هذه الحادثة من السيرة النبوية العطرة مليئة^(٩)

موقف عبد الله بن عبد الله بن سلول من مقالة والده

جسد عبد الله بن عبد الله بن أبي ابن سلول في موقفه من والده، وتقديمه وإخلاصه لله ولرسوله، وتقديم محبتهما ومراضيهما على محبة ومراضي الأبوته^(١٠). لقد ضرب الابن أروع مثل في الإيمان والتضحية بعاطفة الأبوة، فقابله صلى الله عليه وسلم صاحب القلب الكبير والخلق العظيم بمثل رفيع في العفو والرحمة وحسن الصحبة «بل نترفق به، ونحسن صحبته ما بقي معنا» يا لروعة العفو، ويا لجلال العظمة النبوية^(١١)، فقد تطف النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الصحابي الجليل، وهذا من روعه، وأذهب هواجسه^(١٢).

(٨) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٣/٣١٩، ٣٢٠).

(٩) - التحرير والتنوير - (ج ١٥ / ص ١٠٢-١٠٤).

(١٠) انظر: محمد رسول الله، صادق عرجون، (٣/١٦٣).

(١١) انظر: السيرة النبوية لابن شهبة (٢/٢٥٧).

(١٢) انظر: محمد رسول الله، صادق عرجون (٣/١٦٣).

الشهاب الثاقب على من سب النبي العاقب

{ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ (١) مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ (٢) وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ (٣) وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ (٤) فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ (٥) بِأَيِّكُمْ الْمَقْتُولُونَ (٦) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (٧) فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ (٨) وَدُوا لَوْ نُدْهِنُ فَيْدُهُنَّ (٩) وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ (١٠) هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ (١١) مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (١٢) عُنَلٌ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ (١٣) أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ (١٤) إِذَا تَتَلَّى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (١٥) سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرَطُومِ (١٦) } [القلم/١-١٦]

يقول السعدي - رحمه الله - قسم تعالى بالقلم، وهو اسم جنس شامل للأقلام، التي تكتب بها [أنواع] العلوم، ويسطر بها المنثور والمنظوم، وذلك أن القلم وما يسطرون به من أنواع الكلام، من آيات الله العظيمة، التي تستحق أن يقسم الله بها، على براءة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، مما نسبته إليه أعداؤه من الجنون فنفي عنه الجنون بنعمة ربه عليه وإحسانه، حيث من عليه بالعقل الكامل، والرأي الجزل، والكلام الفصل، الذي هو أحسن ما جرت به الأقلام، وسطره الأنام، وهذا هو السعادة في الدنيا، ثم ذكر سعادته في الآخرة، فقال: { وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا } . أي: عظيمًا، كما يفيد التتكير، { غير ممنون } أي: [غير] مقطوع، بل هو دائم مستمر، وذلك لما أسلفه النبي صلى الله عليه وسلم من الأعمال الصالحة، والأخلاق الكاملة، ولهذا قال: { وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ } أي: عاليًا به، مستعليًا بخلقك الذي من الله عليك به، وحاصل خلقه العظيم، ما فسرت به أم المؤمنين، [عائشة -رضي الله عنها-] لمن سألها عنه، فقالت: "كان خلقه القرآن"، وذلك نحو قوله تعالى له: { خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ } { فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ إِنَّتَ لَهُمْ } [الآية]، { لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ } وما أشبه ذلك من الآيات الدالات على اتصافه صلى الله عليه وسلم بمكارم الأخلاق، [والآيات] الحاثات على الخلق العظيم (٢) فكان له منها أكملها وأجلها، وهو في كل خصلة منها، في الذروة العليا، فكان صلى الله عليه وسلم سهلاً ليناً، قريباً من الناس، مجيباً لدعوة من دعاه، قاضياً لحاجة من استقضاه، جابراً لقلب من سأله، لا يحرمه، ولا يرده خائباً، وإذا أراد أصحابه منه أمراً وافقهم عليه، وتابعهم فيه إذا لم يكن فيه محذور، وإن عزم على أمر لم يستبد به دونهم، بل يشاورهم ويؤامرهم، وكان يقبل من محسنهم، ويعفو عن مسيئهم، ولم يكن يعاشر جليساً له إلا أتم عشرة وأحسنها، فكان لا يعبس في وجهه، ولا يغلظ عليه في مقاله، ولا يطوي عنه بشره، ولا يمسك عليه فلتات لسانه، ولا يواخذه بما يصدر منه من جفوة، بل يحسن إلى عشيره غاية الإحسان، ويحتمله غاية الاحتمال صلى الله عليه وسلم.

فلما أنزله الله في أعلى المنازل من جميع الوجوه، وكان أعداؤه ينسبون إليه أنه مجنون مفتون قال: { فَسْتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ بِأَبْيَكُمُ الْمَقْتُونُ } وقد تبين أنه أهدى الناس، وأكملهم لنفسه ولغيره، وأن أعداءه أضل الناس، [وشر الناس] للناس، وأنهم هم الذين فتنوا عباد الله، وأضلوهم عن سبيله، وكفى بعلم الله بذلك، فإنه هو المحاسب المجازي.

و { هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ } وهذا فيه تهديد للضالين، ووعد للمهتدين، وبيان لحكمة الله، حيث كان يهدي من يصلح للهداية، دون غيره.

يقول الله تعالى، لنبيه صلى الله عليه وسلم: { فَلَا تَطْعُ الْمُكَذِّبِينَ } الذين كذبوك وعاندوا الحق، فإنهم ليسوا أهلاً لأن يطاعوا، لأنهم لا يأمرون إلا بما يوافق أهواءهم، وهم لا يريدون إلا الباطل، فالمطيع لهم مقدم على ما يضره، وهذا عام في كل مكذب، وفي كل طاعة ناشئة عن التكذيب، وإن كان السياق في شيء خاص، وهو أن المشركين طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم، أن يسكت عن عيب آلهتهم ودينهم، ويسكتوا عنه، ولهذا قال: { وَدُّوا } أي: المشركون { لَوْ تُدْهِئُ } أي: توافقه على بعض ما هم عليه، إما بالقول أو الفعل أو بالسكوت عما يتعين الكلام فيه، { فَيُدْهِئُونَ } ولكن اصدع بأمر الله، وأظهر دين الإسلام، فإن تمام إظهاره، بنقض ما يصاده، وعيب ما يناقضه.

{ وَلَا تَطْعُ كُلَّ حَلِافٍ } أي: كثير الحلف، فإنه لا يكون كذلك إلا وهو كذاب، ولا يكون كذاباً إلا وهو { مُهَيَّنٌ } أي: خسيس النفس، ناقص المهمة، ليس له همة (١) في الخير، بل إرادته في شهوات نفسه الخسيسة.

{ هَمَّازٍ } أي: كثير العيب [للناس] والطعن فيهم (٢) بالغيبة والاستهزاء، وغير ذلك.

{ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ } أي: يمشي بين الناس بالنميمة، وهي: نقل كلام بعض الناس لبعض، لقص الإفساد بينهم، وإلقاء العداوة والبغضاء.

{ مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ } الذي يلزمه القيام به من النفقات الواجبة والكفارات والزكوات وغير ذلك، { مُعْتَدٍ } على الخلق في ظلمهم، في الدماء والأموال والأعراض (٣) { أَثِيمٍ } أي: كثير الإثم والذنوب المتعلقة في حق الله تعالى.

{ عُنْتَلٍ بَعْدَ ذَلِكَ } أي: غليظ شرس الخلق قاس غير منقاد للحق { زَنِيمٍ } أي: دعي، ليس له أصل و[لا] مادة ينتج منها الخير، بل أخلاقه أقبح الأخلاق، ولا يرجي منه فلاح، له زنمة أي: علامة في الشر، يعرف بها.

وحاصل هذا، أن الله تعالى نهى عن طاعة كل حلاف كذاب، خسيس النفس، سيئ الأخلاق، خصوصاً الأخلاق المتضمنة للإعجاب بالنفس، والتكبر على الحق وعلى الخلق، والاحتقار للناس، كالغيبة والنميمة، والطعن فيهم، وكثرة المعاصي.

وهذه الآيات - وإن كانت نزلت في بعض المشركين، كالوليد بن المغيرة أو غيره لقوله عنه: { أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ } أي: لأجل كثرة ماله وولده، طغى واستكبر عن الحق، ودفعه حين جاءه، وجعله من جملة أساطير الأولين، التي يمكن صدقها وكذبها- فإنها عامة في كل من اتصف بهذا الوصف، لأن القرآن نزل لهداية الخلق كلهم، ويدخل فيه أول الأمة وآخرهم، وربما نزل بعض الآيات في سبب أو في شخص من الأشخاص، لتتضح به القاعدة العامة، ويعرف به أمثال الجزئيات الداخلة في القضايا العامة. { سَنَسِمْهُ عَلَىٰ الْخُرْطُومِ } . ثم تواعد تعالى من جرى منه ما وصف الله، بأن الله سيسمه على خرطومه (١) في العذاب، وليعذبه عذابًا ظاهرًا، يكون عليه سمة وعلامة، في أشق الأشياء عليه، وهو وجهه. (١٣)

إعداد سقر لمن سب سيد البشر

وفي هذه الآيات يرد رب الأرض والسموات على زعيم من زعماء الكفر والضلال الذي بلغ من الكبر عتيا إلا أنه لم يسلم النبي - صلى الله عليه وسلم- من شره وحربه إنه الوليد بن المغيرة الذي توعدده الله تعالى بسقر فقال سبحانه ردا على هذا الافتراء { ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا (١١) وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا (١٢) وَبَنِينَ شُهُودًا (١٣) وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا (١٤) ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (١٥) كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا (١٦) سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا (١٧) إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (١٨) فَقَتَلَ كَيْفَ فَدَرَّ (١٩) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ فَدَرَّ (٢٠) ثُمَّ نَظَرَ (٢١) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (٢٢) ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (٢٣) فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ (٢٤) إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ (٢٥) سَأَصْلِيهِ سَقَرٌ (٢٦) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ (٢٧) لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ (٢٨) لَوَاحَةٌ لِلْبَشَرِ (٢٩) عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ (٣٠) } [المدثر/١١-٣٠]

يقول القطان - رحمه الله - في هذه الآيات عرضٌ لذكر أحد زعماء قريش الكبار، هو الوليد بن المغيرة. وكان من اكبر أثرياء قريش ورؤيائها، يُقال له « العَدْلُ » لأنه كان عدل قريش كلها، إذ كانت قريش تكسو البيت، والوليد يكسوه وحده. وكان ممن حرّم الخمر في الجاهلية، ولكنه أدرك الإسلام وهو شيخ كبير وعادى النبي عليه الصلاة والسلام وقاوم دعوته بشدة. وقد سمع القرآن وتأثر به وقال عنه: لقد سمع من محمد كلاماً ما هو من كلام الإنس، ولا من كلام الجن.. والله إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وأنه يعلو ولا يُعلى عليه.

١٣ - تفسير السعدي - (ج ١ / ص ٨٧٨)

ومع ذلك فقد بقي على عناده وكفره وجمع قريشاً وقال لهم: « إن الناس يأتونكم أيامَ الحج فيسألونكم عن محمد، فتختلف أقوالكم فيه، فيقول هذا: كاهنٌ، ويقول هذا: شاعر، ويقول هذا: مجنون، وليس يُشبه واحداً مما يقولون. ولكن أصلُ ما قيل فيه أنه ساحر، لأنه يفرق بين المرء وأخيه والزوج وزوجته ». وقد مات بعد الهجرة بثلاثة أشهر، وأسلم من اولاده خالد بن الوليد وهشام وعمار، والوليد بن الوليد.

دعني ومن خلقته وحيداً فإني سأكفيك أمره، هذا الذي أنعمت عليه بمالٍ كثير، وعشرة بنين يحضرون معه المحافل ويتمتع بمنظرهم و { وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهيداً } وبسطت له الرياسة والجاه العريض والسيادة في قومه، فكان سيِّداً مطاعاً عزيزاً، ثم يطمع أن أزيد في ماله وبنيه وجاهه بدون شكر، { كَلَّا } لا أفعل ولا أزيد. وقال المفسرون: وقد تبدلت حال الوليد بعد نزول هذه الآية ومات على أسوأ حال { إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيداً }

أنه كان للقرآن معانداً مكذباً. { سَأَرْهُقُهُ صَعُوداً } سأكلفه عذاباً شاقاً لا راحة فيه. { إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ } أنه فكر وزور في نفسه كلاماً في الطعن في القرآن بعدما سمعه وأعجبه، قاتله الله ولعنه، كيف قدر وقال لقريش إن محمداً ساحر، وان هذا القرآن سحر يؤثر ويروى. { ثُمَّ نَظَرَ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ } ثم نظر في وجوه الناس، ثم قطب وجهه وزاد في كَلُوحه، ثم عرض عن الحق الذي عرفه، وتعاضم أن يعترف به { فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْتَرُ } ينقله الرواة عن الأولين، ونقله محمد عن غيره ممن كان قبله من السحرة. { إِنَّ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ } ما هذا إلا قول الخلق تعلمه محمد وادعى أنه من عند الله. ثم بين الله تعالى ما هو جزاؤه يوم القيامة فقال: { سَأُصْلِيهِ سَقَرَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ لاَّ يُبْقِي وَلاَ تَذَرُ لَوْ اِحْتَضَرْتِ لَوَاحِةً رَبِّسَتْ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ } سأدخله جهنم ليحترق بها ويذوق أشد العذاب، وما أدراك ما جهنم؟ إنها لا تبقي لحماً ولا تترك عظماً إلا أحرقت، تأكل الأخضر واليابس كما يقولون، وأنها تُلَوِّحُ الوجوه والبشرة وتسودها، عليها تسعة عشر من الملائكة موكلون بها، كما جاء في قوله تعالى أيضاً: { عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ } [التحريم: ٦٩ (١٤)]

الهبات الربانية لإمام البشرية

ولقد سلك أعداء الحبيب سلك الله عليه وسلم حرب الأعصاب وحرب الدعاية المضللة ولكن الله تعالى هو الذي رد على تلك الدعاية المضللة التي يشنها هؤلاء الأوغاد فقال

{ وَالضُّحَى (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (٣) وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى (٤) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى (٥) أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى (٦) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى (٧) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى (٨) فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (٩) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (١٠) وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (١١) سورة الضحى }

عن جندب اشتكى النبي -صلى الله عليه وسلم - فلم يقيم ليلة أو ليلتين، فأتته امرأة، فقالت: يا محمد، ما أرى شيطانك إلا قد تركك، فأنزل الله تعالى:

{ وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى [الضحى: ٢]. } (١٥)
إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ (٢) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ (٣)
[الكوثر/١-٣]

يقول ابن كثير - رحمه الله - وقوله: { إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ } أي: إن مبغضك - يا محمد - ومبغض ما جئت به من الهدى والحق والبرهان الساطع والنور المبين، هو الأبتَر الأقل الأذل المنقطع ذكره.

قال ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وقتادة: نزلت في العاص بن وائل. وقال محمد بن إسحاق، عن يزيد بن رومان قال: كان العاص بن وائل إذا ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: دعوه فإنه رجل أبتَر لا عقب له، فإذا هلك انقطع ذكره. فأنزل الله هذه السورة.

وقال شمر بن عطية: نزلت في عقبه بن أبي معيط. وقال ابن عباس أيضا، وعكرمة: نزلت في كعب بن الأشرف وجماعة من كفار قريش.

وقال البزار:، عن ابن عباس قال: قدم كعب بن الأشرف مكة فقالت له قريش: أنت سيدهم ألا ترى إلى هذا المصنبر المنبتر من قومه يزعم أنه خير منا، ونحن أهل الحجيج، وأهل السدانة وأهل السقاية؟ فقال: أنتم خير منه. قال: فنزلت: { إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ } هكذا رواه البزار (١٦) وهو إسناد صحيح.

^{١٥} - أخرجه الحميدي (٧٧٧). وأخرجه أحمد (٣١٢/٤). و« البخاري (٢١٣/٦) ومسلم (١٨٢/٥) و« الترمذي » (٣٣٤٥) و« النسائي » في الكبرى (تحفة الأشراف - ٣٢٤٩).

^{١٦} - مسند البزار برقم (٢٢٩٣) "كشف الأستار" ، ورواه أيضا النسائي في السنن الكبرى برقم (١١٧٠٧).

وعن (٦) عطاء: نزلت في أبي لهب، وذلك حين مات ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب أبو لهب إلى المشركين وقال: بُئِرَ محمد الليلة. فأنزل الله في ذلك: { إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ }

وعن ابن عباس: نزلت في أبي جهل. وعنه: { إِنَّ شَانِئَكَ } يعني: عدوك. وهذا يعمُّ جميع من اتصف بذلك ممن ذكر، وغيرهم. وقال عكرمة: الأبتَر: الفرد. وقال السُّدِّي: كانوا إذا مات ذكورُ الرجل قالوا: بُئِر. فلما مات أبناء رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا: بئر محمد. فأنزل الله: { إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ } وهذا يرجع إلى ما قلناه من أن الأبتَر الذي إذا مات انقطع ذكره، فتوهموا لجهلهم أنه إذا مات بنوه ينقطع ذكره، وحاشا وكلا بل قد أبقى الله ذكره على رءوس الأَشهاد، وأوجب شرعه على رقاب العباد، مستمرا على دوام الآباد، إلى يوم الحشر والمعاد (١) صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم التناد.. (١٧)

١٧ - تفسير ابن كثير - (ج ٨ / ص ٥٠٤)

الجحيم السرمدى لمن سب النبي الأمي

ها هو القوي المتين ينتقم ممن سب النبي الأمين - صلى الله عليه وسلم - ويتوعد بنار حرها شديد وقعرها بعيد وسلاسلها حديد انه عمه الأبعد الذي غره ماله وما كسبت يداه بل إن الأمر لم يتوقف عنده بل تعاونه في الإيذاء تلکم المرأة الشمطاء الذي أدت النبي الكريم فأنزل المنتقم سورة بأكملها تبشره هو وزوجته الشقية بالعقوبة السرمدية فقال سبحانه وتعالى { تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (٢) سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (٣) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (٤) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ (٥) المسد }

يقول السعدي - رحمه الله - أبو لهب هو عم النبي -صلى الله عليه وسلم- وكان شديد العداوة [والأذية] للنبي -صلى الله عليه وسلم- فلا فيه دين، ولا حمية للقرابة -قبحه الله- فذمه الله بهذا الذم العظيم، الذي هو خزي عليه إلى يوم القيامة فقال: { تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ { أي: خسرت يداه، وشقى { وَتَبَّ { فلم يربح، { مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ { الذي كان عنده وأطغاه، ولا ما كسبه فلم يرد عنه شيئاً من عذاب الله إذ نزل به، { سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ { أي: ستحيط به النار من كل جانب، هو { وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ }.

وكانت أيضاً شديدة الأذية لرسول الله- صلى الله عليه وسلم-، تتعاون هي وزوجها على الإثم والعدوان، وتلقي الشر، وتسعى غاية ما تقدر عليه في أذية الرسول -صلى الله عليه وسلم- وتجمع على ظهرها من الأوزار بمنزلة من يجمع حطباً، قد أعد له في عنقه حبلاً { مِّن مَّسَدٍ { أي: من ليف.

أو أنها تحمل في النار الحطب على زوجها، متقلدة في عنقها حبلاً من مسد، وعلى كل، ففي هذه السورة، آية باهرة من آيات الله، فإن الله أنزل هذه السورة، وأبو لهب وامرأته لم يهلكا، وأخبر أنهما سيعذبان في النار ولا بد، ومن لازم ذلك أنهما لا يسلمان، فوقع كما أخبر عالم الغيب والشهادة.(^{١٨})

قال الإمام أحمد: عن ربيعة بن عباد، من بني الدليل، وكان جاهلياً فأسلم -قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في الجاهلية في سوق ذي المجاز وهو يقول: "يا أيها الناس، قولوا لا إله إلا الله تفلحوا" والناس مجتمعون عليه، ووراءه رجل وضيء الوجه أحولٌ ذو غديرتين، يقول: إنه صابئ كاذب. يتبعه حيث ذهب، فسألت عنه فقالوا: هذا عمه أبو لهب (^{١٩})

^{١٨} - تفسير السعدي - (ج ١ / ص ٩٣٦)

^{١٩} أخرجه أحمد ح ١٦٠٦٥ وتعليق شعيب الأرنؤوط : حديث صحيح وهذا إسناد فيه انقطاع بين محمد بن عمرو وربيعه محمد بن المنكد والحاكم في المستدرک ح ٣٩ و الطبراني في الكبير ح ٤٥٨٢ و البيهقي في الكبرى ح ١٧٥٠٥ و اتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة - (ج ٧ / ص ١٨) و صححه الالباني في صحيح السيرة ج ١ ص ١٤٢

المراجع

إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة

أضواء البيان

تحفة الأشراف -

تفسير التحرير والتنوير

تفسير ابن كثير

تفسير السعدي

تفسير الشعراوي

تفسير الطبري

تفسير القطان

الذود الأحمد عن النبي أحمد -صلى الله عليه وسلم- للشيخ السيد مراد سلامة

سنن الترمذي

سنن النسائي

سيرة ابن هشام

السيرة النبوية لابن شهبة.

صحيح البخاري

صحيح السيرة

صحيح مسلم

محمد رسول الله، صادق عرجون،

مسند الحميدي

مسند أحمد

مسند البزار

معاجم الطبراني

الفهرس

٣ المقدمة
٥ الرد على المنافقين في سورة التوبة
٧ الرد على شبة كل كفار أثيم
٩ دفع الغواية عن نبي الرحمة ﷺ: الهداية
١٠ دفع المذلة عن رسول رب العزة ﷺ:
١٣ موقف عبد الله بن عبد الله بن سلول من مقالة والده
١٤ الشهاب الثاقب على من سب النبي العاقب
١٦ إعداد سقر لمن سب سيد البشر
١٨ الهبات الربانية لإمام البشرية
٢٠ الجحيم السرمدى لمن سب النبي الأمي
٢١ المراجع